الأدب بهذا المقياس ، على الرغم من أنهم لا يحملون شيئا من العفَّة والكرم والنبل – إلا تكلُّفًا وتصنُّعًا [١] .

وربما كان أهم ما أشار إليه الجاحظ في مجال دراسة النص الأدبي هو أن لكل أديب معجمًا لغويا خاصا به ، كما أن لكل فن أدبي معجمه الخاص به، فزهير كان ينشئ قصائده معتمدًا على مخزون لغوي خاص ، جعل لشعره طابَعًا مميزًا اتَّسمت به مدرسته ، مخالِفَة في ذلك من ينظمون الشِّعر معتمدين على الطبع وعفو الخاطر [٢] .

وكذلك « لكل قوم ألفاظ حظيت عندهم ، كذلك كل بليغ في الأرض وصاحب كلام منثور ، وكل شاعر في الأرض وصاحب كلام موزون ، فلابد من أن يكون قد لهج وألف ألفاظًا بأعيانها ليديرها في كلامه ، وإن كان واسع العِلْم ، غزير المعاني ، كثير اللفظ .» [٣]

وتكاد تكون آراء الجاحظ ردَّ فعل لما صنعه الأصمعي في فحولته من التعصُّب للقدامى ، والتقليل من شأن المولَّدين والمحدثين . وربما كان ذلك بسبب مجاراته للسلطة وتملُّقه لها ، حيث حرَم الكميت بن زيد والطرماح من الاعتراف الفني . فقال عن الكميت إنه ليس بحُجَّة ؛ لأنه مولَّد ، وكذلك الطرماح ، أما ذو الرُّمة فهو حجة لأنه بدوي ، وإن كان شعره لا يشبه شعر العرب [٤] .

وحتى في مجال قوله بمسألة التخصص التي تميز فيها شاعر من آخر

---

(١) الجاحظ : الحيوان ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .
(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٩ ، ١٣ .
(٣) الجاحظ : الحيوان ، ج ٣ ، ص ٣٦٦ .
(٤) الأصمعي : فحولة الشعراء ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وطه الزيني . ١٩٥٣ . ص ٣٤–٣٩ .